الحقيقة المحمدية عند العرفاءبين النظرية والتأويل

الأستـاذ الدكتـور باسم باقر جريو
الباحثة: رحمةكمال عزيز الموسو

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين وبعد ..

يعد موضوع (الحقيقة المحمدية) من المواضيع التي تناولها العرفاء في طيات كتبهم وتفاسيرهم وهي أحد المقامات العالية التي لها مصداق تام وهو الرسول محمد بن عبد الله (ص).

فالحقيقة المحمدية اصل الوجود وعلة الايجاد ، اذ خلق الله سبحانه جميع الكائنات لاجل هذه الحقيقة ، وهي تجلّي لاسم الله الاعظم ، فقد خلق الله سبحانه النور الاحمدي الذي ظهر بصورة وتعد ثم بصورة كل نبي بعده ، حتى ظهر أخيرا في صورة النبي محمد (ص) ، وانه استمر يظهر في صورة الإمام علي وبنائه (ع) .

وقد لعبت نظرية الحقيقة المحمدية دورا كبيرا في العرفان الاسلامي لا سيما في القرنين السادس والسابع الهجريين وما تلاهما على يد العرفاء المفسرين منهم خاصة ، اذ يعدان هنالك للرسول محمد (ص) كينونة مادية واخرى روحية ، فالوجود المادي هو الذي يتمثل بشخص النبي (ص) بجسده وروحه الطاهرين (ص) والكينونة الروحية خلقها الله عزوجل من نور عزته قبل خلق الخلق ، وهذا ما دلت عليه الأحاديث الشريفة العديدة .ر الحقيقة المحمدية صورة كاملة للانسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود ، اذ يعتقد العرفاء ان جميع الانبياء يرثون العلم الباطني عن الحقيقة المحمدية ، لانها مصدر كل وحي وكشف والهام ، وصاحبها (ص) هو صاحب قاب قوسين او ادنى ، وكل الانبياء كلفوا برسالته ، وجاؤا لاستقباله وبشروا وهيئوا له.

وتناول هذا البحث الشخصيات العرفانية التي تناولت هذا الموضوع في الكتب والتفاسير العرفانية منذ القرن السادس الهجري الى الوقت الحالي ، وهم ابن عربي وحيدر الآملي والملا صدرا والفيض الكاشاني والجنابذي والطباطبائي والخميني والسبزواري .

وقد كان هذا البحث مستندا في التوثيق المنهجي الى كتب التفسير وبخاصتفاسير العرفاء المذكورة آنفاً ، فضلا عن كتب الحديث واللغة والشروحات وغيرها.

المبحث الأول: الحقيقة المحمدية (الخلق النوراني) إصطلاحاً ومعتقداً:

يعتقد العرفاء المحققون ومعلمو الكشف والشهود , وجمع من الفلاسفة أن الصادر الأول[1] عن الله تعالى هو (الحقيقة المحمدية والنور الاحمدي).

والحقيقة المحمدية هي مقام عالٍ مصداقه الاتم الرسول محمد بن عبد الله (ص) , ولذا سميت تلك الحقيقة باسمه الشريف , فشخص الرسول الخارجي المادي العنصري مصداق لتلك الحقيقة الإعلائية المقدسّة[2] .

ولا يوجد أثر لهذا المركب في معاجم اللغة , وإنما في معاجم المصطلحات , فقد عرفها الشريف الجرجاني بقوله : (هي الذات مع التعين الأول , وهو الإسم الأعظم)[3] , وهذا المعنى يقربه الكاشاني بعض الشيء في شرحه على فصوص الحكم حيث يقول : (أن محمداً أول التعينات التي عين بها الذات الأحدية قبل كل تعين , فظهر به ما لا نهاية من التعينات , فهو يشمل جميع التعينات , فهو فردٌ واحد في الوجود , ولا نظير له , إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة , وليس فوقه إلا الذات الاحدية المطلقة)[4] .

وقالت عنها سعاد الحكيم (هي أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق , بل هي الإنسان الكامل بأخص معانيه , وان كان كل موجود هو مجلىً خاصاً لاسم إلهي , فان محمد (ص) قد انفرد بانه مجلىً للاسم الإلهي الجامع , وهو الإسم الأعظم ؛ ولذلك كانت له مرتبة الجمعية)[5] .

فالحقيقة المحمدية هي أصل الوجود , وابرز الدلائل على وجود الذات , وهي حقيقة واحدة تتعدد في وجوهها ونسبها , فيأخذ كل وجه صفة تميزه عن الوجه الآخر, ومن ثم إسماً آخر, وهكذا تتعدد المترادفات , وكل منها له نسبة الى هذه الحقيقة الواحدة , وهو هي ايضاً ؛ لأنه يرمز إليها[6] .

والحقيقة المحمدية بوصفها معتقداً دينياً , اعتقد بها العرفاء , ودافعوا عنها , عرضاً وإثباتاً , ورداً للشبهة ؛ لانهم يعتقدون بمحوريتها في البحث وسلامة العقيدة بخلاف باقي التوجهات النقلية والعقلية فهي أساس كل شيء عندهم (وان جميع المخلوقات علويها وسفليها , سعيدها وشقيها , مخلوقٌ من الحقيقة المحمدية)[7] . .

أن الإعتقاد بأزلية الوجود المحمدي ظهر في عصر مبكر , وقد اشير إليه في طائفة من الأحاديث مثل الحديث المشهور (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)[8] .

وإن أول شيء خلقه الله هو الروح المحمدية أو النور الأحمدي الذي ظهر بصورة آدم , ثم بصورة كل نبي بعده , حتى ظهر اخيراً في صورة النبي محمد نفسه , أو إنه استمر يظهر بعد محمد في صورة علي واولاده ,وآل بيته كما هو مذهب الشيعة , فالنور المحمدي عندهم هو الروح الإلهية التي نفخ الله منه في آدم , والحقيقة المحمدية –لا الصورة المحمدية الجسدية – هي مبدأ الحياة ومركزها في العالم , فهي بهذا المعنى روح كل شيء وحياته , وهي من جهة أخرى الواسطة بين الله والعالم , والمنبع الذي يفيض منه على العارفين[9] , فقد ابتدأ الله كتابه التدويني بذكر اسمه , كما ابتدأ كتابه التكويني باسمه الاتم , فخلق الحقيقة المحمدية ونور النبي الاكرم قبل سائر المخلوقين .[10]

وقد لعبت نظرية الحقيقة المحمدية دوراً كبيراً في العرفان الإسلامي لاسيما في القرنين السادس والسابع الهجريين , وما تلاها على يد كثيرٍ من محققي الصوفية , والعرفاء كالسهروردي , وابن سبعين وابن الفارض وغيرهم .

فالحديث عن الحقيقة المحمدية يعني فيما يعنيه التمييز بين وجودين للرسول محمد (ص) خاتم الأنبياء , وجودٌ قبل وجود الخلق , وهو الحقيقة الكلية , والحقيقة الأولى , وهو الوجود النوراني , وهذا ما أجاب به رسول الله (ص) حينما سأله جابر عن أول شيء خلقه الله فقال (ص) : (نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل شيء)[11] , وكذلك ما رواه الصدوق عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب (ع) قال : (أن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد قبل خلق السموات والارض , والعرش والكرسي واللوح والقلم , والجنة والنار وجميع الأنبياء بأربعمائه الف واربع وعشرين سنة وخلق معه اثني عشر حجاباً ... الى أن وضعه الله في صلب آدم ... ثم جعل يخرجه من صلب الى صلب حتى أخرجه من صلب عبد الله بن عبد المطلب)[12] , ووجود آخر هو الوجود الشخصي أو الوجود الجسماني المتمثل بروحه وجسده الطاهرين (ص) , ولم يمكن أن تظهر تلك الحقيقة بكمالاتها أولاً فظهرت بصورٍ خاصة , كل صورة تناسب عصرها وزمانها , فظهرت أولاً بصور الأنبياء والرسل الواحد تلو الآخر, وصولاً الى ظهور الصورة المحمدية المتعينة له (ص) , فكان شخص الرسول (ص) المظهر التام لهذه الحقيقة بتمام صفاتها وكمالاتها , بينما ظهرت بعض الصفات أو الكمالات بمظهرٍ من مظاهر الأنبياء السابقين له زمانياً [13] .

والحقيقة المحمدية هي حقيقة الحقائق السارية في الكون والإنسان والنبوة , وهي الواسطة بين الخالق والخلائق , وتقابل مفهوم العلة الغائية عند الفلاسفة , وكل أسم إلهي خاص اوجد حقيقه كونية , بيد أن الأسماء الإلهية توجهت مجتمعة لإيجاد المظهر الأكمل لكل الحقائق , وهي الحقيقية المحمدية [14] .

واذا كانت علة الخلق هي معرفة الله سبحانه كما قال (ص) في الحديث القدسي : (كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن اعرف فخلقت الخلق لاعرف)[15] . واذا كان المراد من العبادة في قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ) [16]هو طلب المعرفة الإلهية , فإن هذا الهدف المعرفي قد تحقق بوجود أول مخلوق صادر منه تعالى وهو (الحقيقية المحمدية)[17] .

ونظرية الحقيقية المحمدية قديمة قدم التصوف تناولها أوائل المتصوفة ومتأخروهم في أدبياتهم وفلسفتهم , وتغنوا بها في اشعارهم , لكن ظهورها مصطلحاً ونظرية فلسفية في الوجود لم يبلغ أوجه ولم يظهر إلا على يد شيخ التصوف والعرفان إبن عربي في اواخر القرن السادس الهجري , فهو من أهم من قال بالحقيقة المحمدية على الرغم من تصريح النبي وآل بيته في احاديثهم الشريفة عن الحقيقة المحمدية والخلق النوراني لهم – صلوات الله عليهم اجمعين – .

المبحث الثاني:الحقيقة المحمدية في تأويلات العرفاء:

أولاً: ابن عربي:-

وقد تصدى إبن عربي لهذه النظرية , وضمنها كتبه واشعاره , فهو يرى أن الحقيقة المحمدية من حيث النشأة متعلقة بارادة الله إذ صرح بذلك قائلاً : (فلما تعلقت إرادة الله سبحانه بايجاد خلقه

وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الاحدية على صورة حكمه , فسلخها من ليل غيبه , فكانت نهاراً , وفجرها عيوناً وانهارا , ثم سلخ العالم منها فكانت السماء عليهم مدرارا ؛ وذلك إنه سحاب اقتطع من نور غيبه قطعة , لم تكن به متصلة , فتكون عند القطع منفصلة , ولما اقتطع المذكورة مضاهية للصورة , أنشأ فيها محمد (ص) على النشأة التي لا تنجلي اعلامها , ولا يظهر من صفاته إلا احكامها , ثم اقتطع العالم كله تفصيلاً على ذلك)[18] .

ويعتبر إبن عربي الحقيقة المحمدية صورة كاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود , ولذلك يسميها آدم الحقيقي, والحقيقة الإنسانية , ومصدر العلم الباطن , وقطب الاقطاب[19] .

وبعد أن أوضح تعلق الحقيقة المحمدية بالارادة الإلهية من حيث النشأة بين كيفية خلق الحقيقة المحمدية وما هي بداياتها من حيث الخلق إذ قال : (بدء الهباء , وأول موجودٍ فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش ... ومم وجد ؟ وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم , وفيم وجد ؟ وجد في الهباء , وعلى أي مثالٍ وجد ؟ على المثال القائم بنفس الحق المعبر عنه بالعلم به , ولم وجد ؟ لإظهار الحقائق الإلهية , وما غايته ؟ غايتها حقائقه , ومعرفة أفلاك العالم الأكبر)[20] .

والهباء – بحسب إبن عربي – لم يكن موجوداً فيه إلا الحقيقة المحمدية والتي ترادف العقل , والتي هي النور الإلهي , وجاء ذلك واضحاً في تفسيره لقوله تعالى : (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ)[21], حيث قال : (فلم يكن اقرب قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد (ص) المسماة بالعقل , فكان وجوده من ذلك النور الإلهي , ومن الهباء , ومن الحقيقة الكلية , وفي الهباء وجد عينه , وعين العالم من تجليه واقرب الناس إليه علي بن أبي طالب , وأسرار الأنبياء اجمعين)[22] , ثم إنه أسمى هذه الحقيقة بالعالم الأعلى [23] .

وعن العلاقة بين الحقيقة المحمدية وباقي الأنبياء (ع)قال : (أن الأنبياء ما منهم أحد إلا يأخذ من مشكاة خاتم النبيين)[24] فهو يعتقد بأن جميع الأنبياء يرثون العلم الباطني عن الحقيقة المحمدية ؛ لانها مصدر كل وحي وكشف والهام .

وقد صرح بقدم النور المحمدي وبأنه المادة الاولية التي انطلق منها الأنبياء , ومن ثم الأولياء بعد ذلك , بل أن الملائكة لم تسجد لآدم إلا بعدما شعشعت أنوار الشموس المحمدية في افق جبين آدم (ع)[25] .

وإبن عربي يفرق بين الكينونة المادية والكينونة الروحية لمحمد (ص) فيعتبره في الكينونة المادية اسماً لآدم (ع) , بينما في الكينونة الروحية , فهو النور الأزلي الذي بزغ منه آدم , ورشف منه جميع الأنبياء , وبذلك تكون الكينونة الروحية قديمة , والكينونة المادية محدثة , وقد أشار في أشعاره الى هاتين الكينونتين فقال :

يا أهل يثرب لا مقام لعارفٍ ... ورث النبي الهاشمي محمدا
عمّ المقامات الجسام عروجه ... وبذلك أضحى في القيامة سيدا
صلى عليه الله من رحموته ... ومن أجله الروح المطهر اسجدا
لأبيه آدم والحقائق نومٌ ... عن قولنا وعن اشتقاق قد هدى
فجوامع الكلم التي اسماؤها ... في آدم هي للمقرّب احمدا [26]

وكأني بابن عربي في كلامه هذا قد جعل نبوة محمد (ص) دائرة نقطة بدايتها هي نفسها نقطة نهايتها , وهذا واضح من قوله في الابيات السابقة حينما قال : (لأبيه آدم والحقائق نوم) , فهو يشير الى الحقيقية المادية , أما قوله : (من أجله الروح المطهر اسجدا) ,فهو اشارة الى الكينونة الروحية .

ووصف إبن عربي الرسول (ص) بأنه ذلك الموجود الابداعي الماوراء طبيعي , والمخلوق الإبداعي الذي يقابل العقل الأول عند الفلاسفة والحكماء حيث قال : (وكذلك المخلوق الابداعي الذي هو الحقيقة المحمدية عندنا , والعقل الأول عند غيرنا , وهو القلم الأعلى الذي أبدعه الله من غير شيء[27]) , وذاته جمعية مطلقةً وبمنزلة أول الأفراد[28] , وأول تعين تعينت له الذات الإلهية ومبدأ ظهور العالم[29] .

والمعروف عن إبن عربي نزعته التوفيقية الشاملة لكل المذاهب والتيارات الفكرية , فهو يوحد بين متنافرات عقائد السابقين , ويتميز بسعة الأفق , بحيث إنه استوعب في نظرياته مصطلحات ومضامين متباعدة وهذه النزعة التوحيدية ادت الى كثرة المترادفات , واتخاذها معاني جديدة تلائم منهجه[30] , وبدا هذا واضحاً في موقفه من الحقيقة المحمدية حيث جمع بين آراء من سبقه من العرفاء كالحلاج , والبسطامي وغيرهم .

ونخلص الى القول بأنه اجمل الحقيقة المحمدية في ثلاث نقاط اساسية وهي : إنه (ص) مبدأ الخلق , واصل الكون , وإنه الصورة الكاملة للإنسان الكامل , وانه (ص) المشكاة التي استقى منها جميع الأنبياء رسالاتهم ثم الأولياء بعدهم .

ثانياً: حيدر الآملي:-

أما السيد حيدر الآملي عندما تكلم عن الحقيقة المحمدية بين **أولاً :** أن من جملة المقامات التي اختص بها النبي (ص) مقام (عبده) , ومقام (رسوله) , ويعني بذلك انتساب عبوديته ورسالته (ص) بـ (هو) , يعني الهوية المطلقة و غيب الغيوب , فهذا يختص بعبودية النبي الخاتم ورسالته , وبناءً عليه فالرسول الكريم محمد بن عبد الله (ص) , هو عبد مطلق لحضرة الغيب المطلق ورسوله , ومن المعلوم أن هذا المقام غير مقام العبودية المضاف الى أسم خاص مثل عبد الله وعبد الرحمن , وعبدنا , وكذلك رسول الله ورسول رب العالمين ... وغير ذلك .

ومقام (عبده) لا يمكن أن يوازن ويُقاس بسائر المقامات ابداً , وهذه المرتبة (عبده) تحكي أن الصادر الأول هو الحقيقة المحمدية , ومقامات الخلق الأول , والعقل الأول , وغيرهما من جملة الشؤون التي لا نهاية لها للنبي الأعظم (ص)[31] .

وإستعرض الآملي آياتٍ عديدة تدل على هذا المقام منها قوله تعالى : (وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى)[32] , وقوله تعالى : (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أنفسهم وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء)[33] , وقوله : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ)[34] , وهذا يدل على المقام العالي والشامخ الذي هو مظهر تام للحق سبحانه[35].

ثم إنه بعد ذلك يقرر حقيقة أخرى وهي إنه لا يوجد أحد قادر على معرفة المقامات النورانية لوجود خاتم الأنبياء الذي هو أول إنسان وآخر الأنبياء , وهو كامل الأنبياء وكمالهم , والذي هو مرآة تامة لجلال الله وجماله تعالى , والعبد الخاص والمطلق له سبحانه , ولا يعرفه إلا الله وأمير المؤمنين والقرآن , فهو صاحب قاب قوسين أو ادنى , حتى أن جبرئيل لم يملك القدرة على مرافقته , وقد كلف جميع الأنبياء برسالته, وكلهم جاءوا لجهة استقباله , وبشروا به , وهيئوا الأجواء لبعثته , وهو الذي له مع الله خلوة ومجلس أنس به , وهو موضع خطاب (لولاك لما خلقت الافلاك) , وصاحب مقام (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل , ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان)[36] .

ويقدم الدليل على أن علي بن أبي طالب (ع) هو نفس محمد وذلك لقوله (ص) : (انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى)[37] , وقول الله سبحانه : (فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ)[38] .

ويصف الحقيقة المحمدية بأنها منتهى ظهور الكمالات الإنسانية في الأزمان في هذه النشأة الإنسانية[39] , وان من كمالات الحقيقة المحمدية أن الله سبحانه أنزل على رسوله كتاباً عديم المثل والنظير ؛ لأنه شخص انحصر نوعه في شخصه , وقد ثبت عقلاً ونقلاً وكشفاً , بانه لا يمكن الاتصاف بمقامه , ومرتبته , واستحال مثله في الممكنات أزلاً وابداً فيكون كتابه حينئذٍ كذلك [40].

وقد أكد الآملي على حقائقٍ تخص الحقيقة المحمدية كان قد ذكرها إبن عربي في مؤلفاته ,فذكر أن كل نبي من آدم الى آخر نبي ما منهم أحد إلا ويأخذ من مشكاة خاتم النبيين , فالنبي (ص) بحقيقته موجود , أما غيره من الأنبياء فلم يكن موجوداً إلا حين بعث [41] .

وأوضح بان المشكاة ما هي إلا منبع نوره , وهي ليست إلا الحقيقة المحمدية[42] , والتي يعبر عنها بالحقيقة الكلية (التي تجلت في كل مظهر من مظاهر الأنبياء بصفةٍ من صفاتها , واسم من اسمائها , الى أن تجلت في المظهر المحمدي بذاتها , وبجميع صفاتها , وختمت به النبوة)[43] .

والحقيقة الأخرى التي اكدها الآملي , هي أن الحقيقة المحمدية ما هي إلا مرتبة تجلي الحق في صور اسمائه , وصفاته , وكمالاته , حيث قال : (وكذلك يعبر عنه (ص) , وعن حقيقته تارة بالنور , وتارة بالعقل , وتارة بالروح , وتارة بالقلم , وتارة بالباء , وتارة بالنقطة , وتارة بأم الكتاب المبين , وتارة بالتعين الأول , وتارة بالبرزخ الجامع , وتارة الروح الأعظم , وتارة بحقيقة الحقائق , وتارة بالجوهر الأول , وتارة الخليفة , وتارة بآدم الحقيقي , وتارة بالانسان الكامل , وتارة بقطب

الاقطاب , وتارة بصورة الحق , وتارة بظل الإله , وتارة بالمظهر الأعظم , والمجلى الأكبر ...الخ)[44] .

ويوحد الآملي بين الحقيقة المحمدية , وحقيقة الحقائق , والعقل الأول ويقصد إنها لا تتمايز في الحقيقة والذات , وإنما يفرق بينها بالاعتبار وهذا شيء قال به إبن عربي , حينما افترض أن الحقيقة المحمدية أول مرتبة في الوجود , وأول شيء ظهر عن الحق على الرغم من تأخره بالصورة[45].

وهذا ما أشار إليه النبي (ص) حينما قال : (نحن الأولون الآخرون)[46] و (أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً)[47] , ذلك أن الحقيقة المحمدية سابقة على وجود بقية الأنبياء والرسل , وسابقة على خلق الاجساد والارواح[48] .

ثم أن نسبة محمد الى الحقيقة المحمدية – بحسب الآملي – ليست كنسبة الأنبياء الى هذه الحقيقة , فهم (ع) مظاهر لهذه الحقيقة , وهو(ص) مظهر الذات بتمام صفاتها واسمائها وكمالاتها[49].

ويبدو هنا ان السيد حيدر الآملي قد استفاد الاستفادة القصوى من تراث إبن عربي في هذه المسألة – كما في بقية المسائل – وزادها شرحا , وتوضيحاً , واستقصاء فهم , فضلاً عن إنه بذل الجهد في تثبيت أصول الحقيقة المحمدية من خلال طرح افكار إبن عربي ومن ثم الانطلاق منها في تثبيت افكاره العرفانية .

ثالثاً: صدر الدين الشيرازي:-

وعند الإنتقال الى صاحب الحكمة المتعالية نراه بدايةً قدم شرحاً وافياً لسلسلة النزول والصعود حيث أوضح أن النفوس الإنسانية تنتهي الى نفسٍ شريفة هي اكملها , واقبلها للفيض العلوي العقلي , ثم الإلهي وهي في عالم البدن , ثم صارت حسب قوة انفعالها عن حدود النفوس الى حدود العقول من حيث المقام العقلي بعد الخروج عن زيارة هذه المقابر الحسيّة[50] .

ومن هذه العقول الإنسانية ما هو أفضل الأفاضل , ومقامه أعلى المقامات العقلية , وقوته القدسية اشرف القوى القدسية , يكاد زيت قوته القدسية يضيء بنور ربها , ولو لم تمسسه نار العقل الفعّال , فلما مسها صار نوراً على نور , يهدي الله لنوره من يشاء , كما قال جلّ اسمه : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أنا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً [51])[52].

ثم أوضح أن جميع الممكنات الصادرة عن الحق لابد وان يقع فيها سلسلتان هما سلسلة البدو والصدور , وسلسلة العود والرجوع , وأكد على لزوم صدور سلسلة البدو منه تعالى , وذلك لأسباب منها :عدم الباعث على الإمساك والتعطيل , واستحالة تحقق المضاد المدافع للجود , المانع عن الخير والاضافة , فيكون تسلسها بالنسبة للقرب من الله الاشرف فالأشراف , وأول صادر منه تعالى هو الحقيقة المحمدية .

(فالترتيب المعنوي يقتضي أن يكون كل ما هو اقرب الى عالم الصور , والقشور , والأجسام , فهو أبعد من الحقيقة الأحدية , والهوية الصمدية ؛ لأن تلك الحقيقية حقيقة الحقائق , وأشرف الممكنات , وأقربها إليه تعالى في سلسلتي البدأ والرجوع , ومعنى المعاني كلها , فأول ما صدر منه أو تجلى له , أو ظهر فيه , على إختلاف الإعتبارات والإصطلاحات هي العين الواحدة المسمى

عند بعضهم بالعقل الأول , المعبر عنه بالحقيقة المحمدية , والأسم الأعظم والعقل الكلي , وعالم العقول , وأجل الموجودات)[53] .

ثم بعد ذلك صدرت النفس الكلية , وعالم النفوس المجردة المدركة للحقائق الكلية بالذات , أي بنور العقل الكلي , ثم النفس الخيالية المجردة عن الأجسام لا عن الأجرام , ثم النفس المنطبعة المدركة للجزيئات بذاتها المثالية , ثم قواها المنطبعة , ثم النفوس النباتية , ثم الجواهر المعدنية , ثم الصور العنصرية , ثم الهيولى التي هي اخس الجواهر وأدونها , ثم تبدأ سلسلة العود والرجوع[54] .

وكما إن هنالك أسباب لسلسلة النزول فيجد الشيرازي أسباب لسلسلة العود والرجوع ومنه التوجه الى الغايات في جبلة كل ناقص ولكل حادث بما فيه من فاعل ومادة وصورة , كذا لابد لصورته من غاية ولغايته غاية أخرى الى أن ننتهي الى غايةٍ لا غاية لها [55] .

وذكر أن من صفات الحقيقة المحمدية أو خاتم الأنبياء : (أن يكون جالساً في الحد المشترك بين عالم المعقول , وعالم المحسوس , فهو تارة مع الحق بالحب له , وتارة مع الخلق بالرحمة عليهم والشفقة لهم , فاذا عاد الى الخلق كان كواحدٍ منهم , كأنه لا يعرف الله وملكوته , واذا خلا بربه , فكأنه لا يعرف الخلق ...., ولقلبه بابان : الأول متوجهاً الى مطالعة اللوح والذكر الحكيم , فيعلمه علماً يقينياً لدنياً من عجائب ما كان أو سيكون , وأحوال القيامة والحشر والحساب , والثاني متوجه الى مطالعة الحواس ليطلع على سوانح مهمات الخلق , ويهديهم الى الخير , ويردهم عن الشر , فيكون قد إستكملت ذاته في كلتي القوتين , أخذ بحظٍ وافر من نصيب الوجود والكمال من الله سبحانه , بحيث يسمع الجانبين , ويوفي حق الطرفين , وهذا أكمل مراتب الإنسانية)[56] .

ويفسر الشيرازي السبب في خلق النور المحمدي والحقيقة المحمدية بقوله : (عندما شاءت القدرة الإلهية بسط مملكة الإيجاد والرحمة , بأظهار الخلائق والممكنات ... اقتضت ايجاد رابطة ؛ لأنه لا مناسبة بين القدم والحدوث , فلابد من ايجاد برزخ وواسطة ذات حظ من الجانبين ,فأوجدت كل الكمالات والخيرات الذي هو الحقيقة المحمدية)[57] .

وهذه الحقيقة هي ليست كسائر الارواح – بحسب الشيرازي – فقد خلقها الله من نور عزته لقوله (ص) : (لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)[58] .

وأشار الى أن الحقيقة المحمدية هي ذات واحدة ظهرت مرتين مرة في الإدبار الى الخلق , لتكميل الخلائق , ومرة في الإقبال الى الحق تعالى لشفاعتهم ؛ لقوله (ص) : (أول ما خلق الله نوري)[59] وقوله (ص) : (أول ما خلق الله العقل قال له (أقبل) فأقبل , ثم قال له (أدبرْ) فأدبر , قال : فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك , بك أعطي , وبك أخذ وبك أثيب , وبك أعاقب[60])[61] .

وكخلاصة لرأي صدر المتألهين بالحقيقة المحمدية نراه عدها هي ذات العقل الأول , فعنده أن محمداً هو أول وآخر سلسلة الموجودات الممكنة , وانه يمثل بداية السلسلة ونهايتها , حيث عند الاقبال والبداية هو عقلٌ أول فهو أول الجواهر والعقول , وقائد سلسلة العلل والمعلولات , وفاتح باب الرحمة والجود , وواسطة فيض الحق في الوجود , وعند الادبار والنهاية عقلٌ آخر هو زبدة العناصر والاصول , وخاتم كل نبي ورسول , وثمرة شجرة عالم الاضداد , وسائق العباد الى منزل

الرشاد , ودرجة السداد , وهادي الخلق الى رضوان الله الملك الحق , والمعبود المطلق , فهو بالتالي اشرف من كل الممكنات والمخلوقات بما في ذلك الملائكة المقربين[62] .

ونلاحظ إنه لا يوجد إختلاف في الرؤى , والأفكار والمعارف الشهودية بين صاحب العرفان الأول إبن عربي والآملي والشيرازي , إلا إنه يوجد إختلاف بين الشيرازي والآملي في موضوع الصادر الأول والعقل الأول سيتضح في مبحث(النبوة والرسالة والولاية) ان شاء الله , لكن من ناحية العرض والتحليل والتوفيق بين الموضوعات , فكل واحدٍ منهم له طريقته فابن عربي – وكما ذكرت – سابقاً إعتمد على الجمع بين متنافرات عقائد المسلمين في نزعة توفيقية , والآملي جعل من العقل والنقل والشهود روافد آرائه وأفكاره , أما صدر المتألهين , فقد ربط بين الشهود والعرفان من جهة وبين الحكمة والفلسفة من جهةٍ أخرى , وهذا اسلوب جديد لم يظهر عند من سبقه , بل أن الذين سبقوه لم يعيروا إهتماماً يذكر لأصحاب الحكمة وآراءهم , بقدر ما أرادوا أن يطرحوا مشاهداتهم العرفانية , فصدر الدين بأسلوبه هذا أرسى قواعد مدرسة جديدة تجمع بين الحقائق العقلية والمعارف الشهودية وهي مدرسة الحكمة المتعالية .

رابعاً: الفيض الكاشاني: -

أما الفيض الكاشاني فساق موضوع الحقيقة المحمدية وقدمه مرصعاً بالأحاديث الصادرة عن الرسول وآل بيته (ع) , وهذا ديدنه في كل قضية يطرحها في مؤلفاته , فاورد روايات عديدة عن حقيقة الخلق النوراني , ومنها قوله (ص) لسلمان الفارسي (رض) : (يا سلمان خلقني الله من صفاء نوره , فدعاني فأطعته , وخلق من نوري علياً , فدعاه الى طاعته فأطاعه , وخلق من نوري ونور علي فاطمة , فدعاها فأطاعته وخلق مني ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين , فدعأهما فأعطاه , فسمانا الله – عز وجل – بخمسة أسماءٍ من أسمائه فالله المحمود , وأنا محمد , والله العلي ,وهذا علي , والله فاطر , وهذه فاطمة , ولله الإحسان , وهذا حسن, والله المحسن , وهذا الحسين , ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعأهم فاطاعوه قبل أنْ يخلق الله سماءاً مبنية , أو أرضاً مدحية , أو هواءاً , أو ماءاً , أو ملكاً أو بشراً , وكنا نعلمه انواراً نسبحه ونسمع له ونطيعه)[63] .

أما ما رواه عن الحقيقة المحمدية فهي قول الرسول (ص): (آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة)[64] , وكذلك قوله (ص) : (نحن الآخرون السابقون)[65] .

وفسر الفيض الكاشاني الرواية السابقة إضافة الى ما قيل فيها[66] بقوله : (أي الآخرون خلقاً والأولون قصداً , أو الآخرون من حيث الأبدان , والاولون من حيث الأرواح , أو الآخرون بحسب الإستكمال والتعلم من الملائكة في العالم السفلي , وبحسب الظاهر – كما قال الله عز وجل (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)[67] ,والأولون من حيث التكميل والتعليم لهم في العالم العلوي بحسب الباطن)[68].

وقد أورد حديثاً عن الإمام الصادق (ع) يدل على أن الملائكة تعلمت التسبيح من النبي وآل بيته , جاء في آخره : (فقال لهم عز وجل – أي الملائكة – سبحوا فقالوا : (أي ربنا لا علم لنا) فقال لنا سبحوا , فسبحنا , فسبحت الملائكة بتسبيحنا)[69] .

ومن الجدير بالذكر أن الفيض الكاشاني يذهب الى ما ذهب إليه بعض العلماء ممن سبقه كالغزالي , والشيرازي حيث قال الأول : إن مقصود فطرة الآدميين وكمالهم وغايتهم و ادراكهم لسعادة القرب من الحضرة الإلهية , ولم يمكن ذلك إلا بتعريف الأنبياء , فكانت النبوة مقصودة بالايجاد , والمقصود كمالها , وغايتها لا اولها , وإنما تكمل بحسب سنة الله تعالى بالتدريج كما تكمل عمارة الدار بالتدريج ,فتمهد أصل النبوة بآدم (ع) , ولم يزل ينمو ويكمل حتى بلغ الكمال بمحمد (ص) , وكان المقصود كمال النبوة وغايتها , وتمهيد اوائلها وسيلةً إليها , كتأسيس البناء ... فانه وسيلة الى كمال صورة الدار ؛ ولهذا السّر كان خاتم النبيين , فان الزيادة على الكمال نقصان كالإصبع الزائد في الكف , واليه الإشارة بقوله (ص) : (مثل النبوة مثل دار معمورة لم يبق فيها إلا موضع لبنة , وكنت أنا تلك اللبنة)[70] , فهو اذن خاتم النبيين – ضرورة – إذ بلغ به الغاية والكمال , والغاية أول شيء في التقدير ,آخر شيء في الوجود , وقوله (ص) : (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)[71] , ايضاً اشارة الى إنه كان نبياً في التقدير قبل تمام خلقة آدم ؛ لأنه لم ينشأ خلقة آدم , إلا لينتزع الصافي من ذريته , ولا يزال يستصفي تدريجياً الى أن يبلغ كمال الصفا , فيقبل الروح القدسي المحمدي)[72] .

وكذلك أشار الى ما قاله صدر المتألهين من إتصال الحقيقة المحمدية بالحق والخلق[73] , وكذلك أشار الى أن من صفات الخلق النوراني هي إنه غاية في إشراق العقل ونورية النفس , وهو شاهد بسر الله في لوازم القدر , وهم آحاد لا يأتون إلا واحداً بعد واحد[74] .

خامساً: الجنابذي:-

وبما إن الحقيقة المحمدية – التي عني بها جميع العرفاء – هي مبدأ كل وحي وكشف , واصل كل معرفة باطنية , وبما إن كل شيء في الكون كلمة من كلمات الله , بحيث يكون العالم كله بمثابة قرآن كبير , فهذا التصور للعلم يتيح للسلطان علي شاه أن يمد جسراً بين الكلمة الكلية (العالم) والحقيقة المحمدية (ص) , والقرآن فقال : (اعلم أن القرآن كلام الحق الأول تعالى , وقد ظهر أول ما ظهر مطلقاً عن جميع التعينات الامكانية , وبهذا الإعتبار يسمى بنفس الرحمن , ولجواز اتصافه بجميع التعينات لكونه لا بشرط شيء ولا بشرط لاشيء , يسمى بأضافته الاشراقية وبمقام كن , ولظهور الغيب به بنحو الاجمال والبساطة مثل ظهور ما في الصدور في الكلمات يسمى بكلمته ولاشتماله على جميع الوجودات الامكانية بنحو اشرف واعلى يسمى بالقرآن , وبجمع الجمع , ولكونه أعلى مقامات محمد (ص) الذي هو آخر فعلياته التي هو بها هو يسمى بالحقيقة المحمدية , ولذلك كان خلقه القرآن)[75], وعلى هذا فهو يذهب مذهب إبن عربي الذي ذهب الى إنه من اراد أن يرى رسول الله (ص) ممن لم يدركه من أمته فلينظر الى القرآن , فاذا نظر فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر الى رسول الله (ص)[76] .

سادساً: الطباطبائي:-

واذا كان العرفاء والمفسرون يعتقدون بان خلق الحقيقة المحمدية هو علة الايجاد , فعلى جميع الأنبياء أن يصدقوا محمداً (ص) ويبشروا أممهم به وبمبعثه , وهذا ما جاء في قوله تعالى : (وَإِذْ

أخذ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)[77] , فالسيد الطباطبائي أكد على صحة هذا التفسير فضلاً عن إنه أكد على أن سياق الآيات التي جاءت قبل وبعد هذه الآية يدل على ذلك [78] .

والحقيقة المحمدية – كما هي عند كافة العرفاء – هي صورة الإسم الإلهي الجامع , وهو ربها , ومنه الفيض والاستمداد الى جميع اسمائه, فبصورتها الخارجية المناسبة لصور العالم التي هي مظهر الإسم الظاهر تربُّ صور العالم , وبباطنها تربُّ باطن العالم , لانها صاحبة الإسم الأعظم , وله الربوبية المطلقة , وهذه الربوبية إنما هي جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها ؛ لانها من جهة بشريتها عبدٌ مربوب محتاجٌ الى ربه , كما نبه سبحانه وتعالى على ذلك بقوله : (قُلْ إنما أنا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[79] , وبقوله تعالى : (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)[80] , فسماه عبد الله تنبيهاً على إنه مظهر لهذا الإسم دون أسم آخر .

أما من جهة حقيقتها فقد نبه عليها سبحانه بقوله : (وَمَا رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى)[81] , فاسند رميه الى الله , ولا تتصور هذه الربوبية إلا باعطاء كل ذي حقٍ حقه , وافاضة جميع ما يحتاج إليه العالم , وهذا المعنى غير ممكن إلا بالقدرة التامة , والصفات الإلهية جميعا[82] , .

سابعاً: الخميني:-

وقد كان للإمام الخميني بيانٌ بهذا الخصوص , إذ قال : (اعلم أن لكل موجود جهة ربوبية هي ظهور الحضرة الربوية فيه , وكل تأثير وفاعلية وايجاد في العالم فهو من الرب الظاهر فيه ,فلا مؤثر في الوجود إلا الله , إلا أن المرائي مختلفة في ظهور الربوبية فرب مرآة ظهرت فيها الربوبية المحدودة على حسب مرتبتها من المحيطية والمحاطية , حتى تنتهي الى المرآة الأحمدية الأتم و التي لها الربوبية المطلقة , والخلافة الإلهية أزلاً وأبداً ، فجميع دائرة الخلافة والولاية من مظاهر خلافته الكبرى , وهو الأول والآخر , والظاهر والباطن , وجميع الدعوات دعوات إليها , وهي مرجع الكل , ومصدره , ومبدأ الكل ومنتهاه , والله من ورائهم محيط)[83] .

واذا كان إبن عربي قد تحدث عن أن حكمة خاتم الأنبياء كانت فردية (لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني , ولهذا بُدء الأمر وختم , فكان نبياً وآدم بين الماء والتراب , ثم كان بنشأته العنصرية خاتم النبيين , فكان (ص) أدل دليلٍ على ربه)[84] ,فالخميني يرى إنه مادامت التعينات الأسمائية تتحقق بها صور الأسماء التي هي الأعيان الثابتة, والأسم الأول الذي يبرز ويظهر مع مرآته بتجلي الأحدية , والفيض الأقدس , لدى حضرة العلمية الواحدية , هو الإسم الأعظم الجامع الإلهي , والمقام المسمى بـ (الله) , الذي يكون من الناحية الغيبية عين التجلي بالفيض الاقدس , وفي التجلي الظهوري يكون كمال الجلاء والاستجلاء عين مقام جمع الواحدية باعتبار , وعين الكثرة الأسمائية بإعتبار آخر, وان تعين الإسم الجامع وصورته عبارة عن العين الثابته للإنسان الكامل , وعن الحقيقة المحمدية للنبي (ص) [85] .

وللإسم الأعظم تجلٍ في عالم الوجود ؛ لأنه أسمٌ شامل وجامع , وهو حاكم على بقية الأسماء والصفات الإلهية مما يقع تحته من الأسماء الإلهية , وهذا ما بينه السيد الخميني في قوله : (ولا

ينجلي هذا الإسم بحسب الحقيقة تاماً إلا لنفسه , ولمن ارتضى من عباده , وهو مظهره التام أي صورة الحقيقة الإنسانية التي هي صورة جميع العوالم , وهي مربوب هذا الإسم , وليس في النوع الإنساني أحد يتجلى له هذا الإسم على ما هو عليه إلا الحقيقة المحمدية (ص) وأولياؤه الذين يتحدون معه في الروحانية)[86] .

فالحقيقة المحمدية عند السيد الخميني هي حقيقة كاملة , وهي أول موجود وآخره, بما هي تجلي لإسم الله الأعظم .

ثامناً: السبزواري:-

وقد أكد السيد السبزواري على أن العلة الغائية مقدمة في العلم ؛ فلذلك كان الغرض الاصلي من خلق آدم إنما هو سيد الأنبياء والرسالة التي جاء بها , وإن كانت متأخرة في الخارج – كما ثبت بالادلة العقلية والنقليه – فأصل الدعوة هي الدعوة المحمدية , وإن تعدد الدعاة إليها , وتفرقوا في سلسلة الزمان[87] , وعليه فالحقيقة المحمدية متمثله بكل واحدٍ من هؤلاء الدعاة , وهم الأنبياء الذين سبقوا نبينا من آدم (ع) الى محمد (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) , لذلك فهو (ص) : (مثال الإنسانية الكاملة , والمرآتية الكبرى لله – جل جلاله – , وقد خلق من رحمته – عز وجل – كما أرسله رحمةً للعالمين)[88] , ثم أن هذا المرسل (ص), هو أول نور انزله الله تعالى عن ذاته الأقدس , وأظهره بنور قدرته من العدم , ففي الحديث الشريف : (أول ما خلق الله نوري)[89] , وعنه (ص) : (كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم (ع) بأربعة عشر الف عام ,وكان يسبح ذلك النور , وتسبح الملائكة بتسبيحه , فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبه)[90] , وفي الحديث (لما خلق الله آدم (ع) اهبطني في صلبه الى الأرض , وجعلني في صلب نوح في السفينة , وقذفني في صلب ابراهيم , ثم لم يزل تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوين لم يلتقيا على سفاح قط)[91], وإن أنوار الأئمة (ع) – بحسب السبزواري – قد أشرقت من نوره – عز وجل – ايضاً , وهبطت من العرش الى عالم الشهادة ثم ظهرت الموجودات بوجود نوره جلت عظمته – على حسب الترتيب[92] .

النتائج:-

نستنتج مما سبق بعد أن استعرضنا آراء المفسرين العرفاء وأقوالهم بالحقيقة المحمدية , والخلق النوراني لسيد الكائنات (ص) أن الذات المقدسة لامتناعها من الظهور , واحتجابها بحجاب العظمة وعدم وجود قابلية المخلوق لتحملها , تجلت بالحقيقة المحمدية العلوية الكاملة لجميع الصفات الإلهية الغيبية , وأبت الذات أن تظهر إلا بها , فهي حجاب الله الذي بها احتجب عن الخلق , فأصبحت هي المنيرة لكل سراج حساً ومعنىً , من نبي وولي ؛ لانها المظهر الأول , وواسطة الفيض والحقيقة الكلية الجامعة , ومنها تجلت حقيقة الكائنات , وهي مبدأ الموجودات والحق سبحانه الذي خلق آدم أبو البشر من غير أم واب , ومن التراب , خلق (ألخلق النوراني) محمد وآله (ص) من نوره

اجلالاً وتعظيماً لهم قبل خلق آدم , وقد اشرق هذا النور في الوجود , ولولاه لأصبح الوجود في ظلامٍ دامس , أو لم يكن الوجود موجود اصلاً , لأنهم غاية الوجود, وعلة خلقه.

ويؤيد هذا ما جاء في حديث الكساء الذي فيه شهادة الهية تقول : (إشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي , وعزتي وجلالي ما خلقت سماءاً مبنية , ولا ارضاً مدحية ولا قمراً منيراً , ولا شمساً مضيئة , ولا فلكاً يدور , ولا بحراً يجري , ولا فلكاً تسري إلا لأجل هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء)، أذن كل المخلوقات خلقت من أجل محمد وآل محمد .

ولا يمكن لاحدٍ أن ينكر وجود الحقيقة المحمدية قبل وجود الخلائق , وقبل خلق البشرية , ويكفي في إثبات هذه الحقيقة إن للإنسان وجود قبل ولادته دلّ عليه قوله تعالى : (وَإِذْ أخذ رَبُّكَ مِن بَنِي آدم مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أنا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[93] .

ومهما اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية, فهي تدل دلالة صريحة وواضحة على أن للإنسان نوع وجود قبل ولادته , وهذه وحدها تكفي في تقريب فكرة وجود الحقيقة المحمدية و الخلق النوراني في عالم ما قبل الميلاد على مستوىً رفيع بحيث أن اقرارهم لله سبحانه وتعالى كان متميزاً عن بقية الخلق مما استوجب الإصطفاء الإلهي .

والذي أكد عليه العرفاء أن الفيض الإلهي يجري طبقاً للأقرب فالأقرب , فيكون الأقرب الى مصدر الفيض واسطة في الفيض لمن هو دونه , والنبي وآله حقيقة نورية واحدة هي الحقيقة المحمدية ,فالإفاضات لا تكون إلا من خلالها ؛ لعدم جواز الطفرة في الوجود .

والحمد لله أولاً وآخراً

الهوامش:

(1) يسمى الصادر الأول وفقاً لمباني الحكماء , أما العرفاء فأن الصادر الأول عندهم العقل الأول . ظ : الحيدري : معرفة الله : 1 : 272 .

(2) ظ : جوادي آملي : شرح تمهيد القواعد : 426 , حيدر الآملي : أسرار الشريعة : 93 .

(3) الجرجاني : التعريفات : 32.

(4) الكاشاني : شرح فصوص الحكم: 357 .

(5) سعاد الحكيم : المعجم الصوفي : 162.

(6) م . ن : 162 .

(7) الآلوسي : روح المعاني : 1 : 230 .

(8) الترمذي : السنن : كتاب المناقب : باب 1 : 5 : 585 : ح 3609 , الحاكم النيسابوري : المستدرك : 2 : 608- 609 , دلائل النبوة : 1: 85 , طبقات إبن سعد : 7 : 6 , المجلسي: البحار : 16 : 142 : ح 1 . وغيرها كثير من كتب الحديث .

(9) نيكلسون : في التصوف الإسلامي : 150 .

(10) الخوئي : البيان : 433 , ظ : التستري : تفسير التستري : 62 .

(11) المجلسي : البحار : 25 : 21-22 , وبألفاظ قريبة منه ذكره العجلوني : كشف الخفاء : 265 .

(12) الصدوق : الخصال : 482 : ح55 , معاني الاخبار : 306 : ح1 , وهناك من فسر الحجب بالائمة : ظ : الحلي : مختصر بصائر الدرجات :175 .

(13) ظ : نظلة الجبوري : فلسفة وحدة الوجود : 185 , ظ : نور الدين : مقدمات العرفان : 125-126 , شبر حق اليقين في معرفة أصول الدين : 1 : 85 , التبريزي : الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية : 186 .

(14) ظ : نصر حامد أبو زيد : هكذا تكلم إبن عربي : 216 – 217 , ظ : فلسفة التأويل 153 و 177 .

(15) الصدوق : التوحيد : 152.

(16) الذاريات: 56.

(17) الحسني : بين التصوف والتشيع : 327 .

(18) إبن عربي : عنقاء مغرب : 36 , الجيلي: الإنسان الكامل : 2 : 31

(19) م . ن : 36

(20)إبن عربي : الفتوحات المكية : 1 :152.

(21)النور : 35.

(22)إبن عربي : الفتوحات المكية: 1 :154 , 1 : 118.

(23)م . ن : 1 : 155 , بينما اسماها الجيلي أم الكتاب , وقد سار على منهجهم في هذه التسميات كثير ممن بحث عن الحقيقة المحمدية , والخلق النوراني الذي منه خلق العالم , ظ : البرسي مشارق أنوار اليقين : 66 , فرغاني : مشارق الدراري :10.

(24)إبن عربي : الفتوحات المكية : 2 : 131 .

(25) م.ن : 2 : 131 .

(26) م.ن : الفتوحات :2 : 150 .

(27) م . ن : 1 : 94 .

(28) يعتقد إبن عري بان الواحد ليس عدداً وانما هو منشأ الاعداد والعدد (3) هو أول عدد فردي , تتفرع منه سائر الاعداد الفردية , وافترض أن الذات بمنزلة الواحد , ومرتبة الواحدية والالهية بمنزلة العدد (2) الذي هو أول عدد زوجي , ثم الحقيقة المحمدية بمنزلة العدد (3) الذي هو أول عدد فردي , إلا انه عدها التعين الأول, ظ : إبن عربي : فصوص الحكم : الفص المحمدي : 214 , القيصري : شرح الفصوص : 471.

(29) الشعراني : اليواقيت والجواهر : 2 : 20 .

(30) سعاد الحكيم : المعجم الصوفي : 154 .

(31) الآملي : المحيط الأعظم : 1 : المقدمة .

(32) النجم : 7 – 10 .

(33) النحل : 89 .

(34) سبأ : 28 .

(35) الآملي : المحيط الأعظم :1: المقدمة .

(36) المجلسي : بحار الأنوار : 18 :360 .

(37) نهج البلاغة : الخطبة القاصعة : 356.

(38) آل عمران : 61.

(39) الآملي : نقد النقود : 707.

(40) الآملي : نص النصوص : 63 .

(41) م.ن :44 , ظ : إبن عربي : فصوص الحكم : 61 – 62 .

(42) م . ن : 171 .

(43) م . ن : 177 , إبن عربي : الفتوحات المكية : 4 : 433 .

(44) الآملي : نص النصوص : 44 , ظ : إبن عربي : فصوص الحكم : الفص المحمدي :266, سمناني : العروة لأهل الخلوة : 282.

(45) حمية : العرفان الشيعي : 407 , إبن عربي : الفتوحات المكية : 1 : 152 .

(46) البخاري : الصحيح : 2 : 2 , مسلم : الصحيح : 2 : 586 , الصفار : بصائر الدرجات : 2 : 63 : ح10 , المجلسي : بحار الأنوار : 26 : 248 : ح18 .

(47) المتقي الهندي : كنز العمال : 11 : 452 : ح 32126.

(48) الآملي : نص النصوص : 177 -178 .

(49) م . ن : 178 .

(50) الشيرازي : تفسير القرآن الكريم : 4 : 66 .

(51) الأحزاب : 45 – 46 .

(52) م . ن : 4 :66 .

(53) الشيرازي : تفسير القرآن الكريم : 4 : 66 – 67 .

(54) م.ن: 4: 67 .

(55) م .ن : 4 : 67 – 68 .

(56) الشيرازي : الشواهد الربوبية : 355 – 357 .

(57) ظ : الشيرازي : المظاهر الإلهية : 171 , ظ : السبزواري : الرسائل : 719 .

(58) الصدوق : من لا يحضره الفقيه : كتاب الصوم : 2: 172 .

(59) المجلسي : بحار الأنوار : 15 : 2 .

(60) الكليني : الأصول من الكافي : 1 : 16 : ح 14 .

(61) الشيرازي : تفسير القرآن الكريم : 5 : 38 .

(62) م . ن : 5 : 70 , ظ : يحيى محمد : حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي العرفاني:11.

(63) الطبري : دلائل الامامة : 447 – 450 : ح 28 , الخصيبي : الهداية الكبرى : باب 14 : 375 , الجوهري : مقتضب الاثر في النص على الائمة الاثني عشر : 6 , المجلسي : بحار الأنوار :25 : 6 : ح9 , الفيض الكاشاني : علم اليقين : 1 : 540 .

(64) الصدوق : الخصال : 2 : 415 : باب 6 : ح5 , إبن شهر اشوب : المناقب : 1 : 214 البيهقي : دلائل النبوة : 5 : 481 , الفيض الكاشاني : علم اليقين : 1 : 540 – 541 .

(65) البيهقي : دلائل النبوة : 5 : 482 , الصفار : بصائر الدرجات :10 : 63 , الفيض الكاشاني : علم اليقين : 1 : 266 .

(66) قيل : الآخرون زماناً , السابقون بالفضائل ,وقيل الآخرون من أهل الدنيا والسابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق , ظ : الفيض الكاشاني : علم اليقين : 1 : 627.

(67) النجم : 5 .

(68) الفيض الكاشاني : علم اليقين : 1 : 627.

(69) المجلسي : بحار الأنوار : 26 : 350 : ح24 الفيض الكاشاني : علم اليقين :1 : 627 .

(70) البخاري : الصحيح : 4 : 64 : ح 2264 , صحيح مسلم : 4 : 1790 – 1791 : ح22 , المتقي الهندي : كنز العمال : 11 : 453 : ح 32127 .

(71) الحاكم النيسابوري : المستدرك : 2 : 608 – 609 , وطبقات إبن سعد : 7 : 60 :والبحار , 16 : 402 : ح1 .

(72) الغزالي : الرسائل : رسالة الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية : ق : 4 : 355 .

(73) ظ : الفيض الكاشاني : علم اليقين : 1 : 470 , الشيرازي : الشواهد الربوبية : 355 .

(74) م.ن: 1 : 470 , وهذا ما صرح به المعلم الأول حيث قال : (جل جناب الحق أن يكون شريعة لكل وارد , أو يطلع عليه إلا واحداً بعد واحد) ظ : إبن سينا : الإشارات والتنبيهات : النمط التاسع : 3 : 394.

(75) الجنابذي : بيان السعادة : 1 : 13 .

(76) إبن عربي : الفتوحات المكية : 1 : 89 .

(77) آل عمران : 81 .

(78) الطباطبائي : الميزان : 3 : 384 .

(79) الكهف : 110 .

(80) الجن : 19 .

(81) الأنفال : 17 .

(82) نور الدين : مقدمات العرفان (تحرير مقدمات فصوص الحكم للقيصري) : 123 – 124 .

(83) الخميني : تعليقات الإمام الخميني على فصوص الحكم : 22 .

(84) إبن عربي : فصوص الحكم : 323 .

(85) الخميني : الأربعون حديثا : 660 : ح 38 .

(86) الخميني : شرح دعاء السحر : 124.

(87) السبزواري: مواهب الرحمن : 1 : 207 .

(88) م.ن: 7 : 15 .

(89) الصدوق : الخصال : 482 : ح55 .

(90)المجلسي : بحار الأنوار : 4 : 77 : ح13 , 35 : 24 : ح18.

(91)الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة : 275 : باب 24 : ح25 , الامالي 723 : المجلس : 91 ح 1 , السيوطي : الدر المنثور : 6 : 332.

(92) السبزواري: مواهب الرحمن : 11 : 134 .

(93) الأعراف : 17

المصادر والمراجع

القرآن الكريم : كلام الله تعالى

نهج البلاغة : للإمام أمير المؤمنين علي (ع) , جمعه الشريف الرضي , تح : صبحي الصالح , بيروت , ط1 , 1378هـ -1967 م .
مصباح الشريعة : للإمام الصادق (ع) , مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , بيروت –لبنان , ط2 , 1403هـ -1983م .

الآلوسي : أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت 1270هـ)

1- روح المعاني في القرآن الكريم والسبع المثاني , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , 1408هـ- 1987م .

الآملي : حيدر بن علي بن حيدر (من علماء القرن الثامن الهجري)

2- أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة , تح : محسن التبريزي , منشورات المعهد الثقافي نور على نور , قم , ط1 , 2004م .
3- المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم , حققه وقدم له وعلق عليه : السيد محسن الموسوي التبريزي , مؤسسة الطباعة والنشر , وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – إيران , ط1 , 1414هـ .
4- رسالة نقد النقود في معرفة الوجود مع كتاب جامع الأسرار مقدمة : هنري كربين وعثمان اسماعيل , مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان , ط1 , 1426هـ -2005م .
5- المقدمات من كتاب نص النصوص في شرح فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي , مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والتوزيع , بيروت – لبنان , ط1 , 1426هـ -2005م .

الآملي : الشيخ جوادي عبد الله

6- شرح تمهيد القواعد , دار الهدى , قم , 1430هـ .

البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت 256هـ)

7- صحيح البخاري , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , 1401هـ - 1981 م .

البرسي : الحافظ رجب (ت 813هـ)

8 - مشارق أنوار اليقين ,تح : السيد علي عاشور مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت – لبنان , ط1 , 1419هـ - 1999م .

البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)

9- دلائل النبوة , تح : عبد المعطي قلعجي , دار الكتب العلمية , بيروت , 1405ق .

التبريزي : الميرزا جواد

10- الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية , دار الصديقة الشهيدة قم , ط2 , 1382ش .

الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة

11- السنن , القاهرة , 1384هـ .

التستري : سهل بن عبد الله

12- تفسير القرآن العظيم , القاهرة , مطبعة السعادة , 1326هـ

الجبوري : د . نظلة

13 – فلسفة وحدة الوجود , بيت الحكمة , بغداد , ط1 , 2001م .

الجرجاني: السيد الشريف علي بن محمد (ت816هـ)

14- كتاب التعريفات ,ضبطه وصححه : جماعة من العلماء بإشراف الناشر , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط1 , 1403هـ - 1983م .

الجنابذي : السلطان علي شاه (ت . ق 14هـ)

15- بيان السعاة في مقامات العبادة , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان , ط2 , 1408ه- 1988م .

الجوهري : أحمد بن محمد

16 : مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر , تح : هاشم الرسولي المحلاتي , نشر : مكتبة الطباطبائي , قم , 1379ق .

الجيلي : عبد الكريم (ت 805هـ)

17- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والآوائل , المطبعة الشرقية مصر (لا .ت) .

الحاكم النيسابوري :أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 405هـ)

18- دلائل النبوة , دار الكتب العلمية , بيروت , 1405 ق .

19- المستدرك على الصحيحين، مصور عن مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، بروت، 1389ق.

الحسني: هاشم معروف

20- بين النصوص والتشيع، دار التعارف للمطبوعات، 1427هـ -2006م.

الحكيم : سعاد

21- المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة) , دندرة للنشر , بيروت ,ط1 ,1401هـ - 1989م.

الحلي : علي بن سليمان

22- مختصر بصائر الدرجات , شركة الطبع, تبريز , 1381ق .

حمية : د. خنجر علي

23- العرفان الشيعي (دراسة في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الآملي) , دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع , ط2 , 1429هـ - 2008م .

الحيدري : السيد كمال

24- معرفة الله , بقلم : طلال حسن , دار المرتضى , الطبعة الجديدة , بيروت – لبنان , 1431هـ - 2010 م .

الخصيبي : حسين بن حمدان

25- الهداية الكبرى , مؤسسة البلاغ , بيروت , 1406ق .

الخميني: روح الله

26- الأربعون حديثاً , ترجمة : محمد الغروي , دار التعارف , بيروت , ط1 , 1991م .

27- تعليقات على فصوص الحكم لابن عربي , دار المحجة البيضاء و دار الرسول الاكرم , ط1 , 1422هـ - 2001م .

28- شرح دعاء السحر , طهران , 1980م .

الخوئي : السيد أبو القاسم الموسوي (ت 1411هـ)

29- البيان في تفسير القرآن , مطبعة العمال المركزية , بغداد ,1410هـ - 1989 م .

أبو زيد : نصر حامد

30- فلسفة التأويل , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , المغرب , 2007م .

31- هكذا تكلم إبن عربي , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , المغرب , ط3 , 2000م .

السبزواري : السيد عبد الأعلى الموسوي .

32- مواهب الرحمن في تفسير القرآن , مطبعة نكين , ط5 , 1431هـ - 2001م .

السبزواري : الملا هادي

33- الرسائل , منشورات طليعة النور , قم المقدسة , ط1 , 1425هـ .

السمناني : علاء الدولة

34- العروة لأهل الخلوة والجلوة , تح : مايل نجيب الهروي , طهران مولى ,1362ش .

إبن سينا : أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي (ت 428هـ)

35- الإشارات والتنبيهات , مكتب نشر الكتاب , ط2 , 1403هـ .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)

36- الدر المنثور في التفسير بالمأثور , دار الفكر , بيروت , 1403ق .

شبر : عبد الله (ت 1212)

37- حق اليقين في معرفة أصول الدين , منشورات الاعلمي , مطبعة العرفان , صيدا , 1352هـ .

الشعراني : الإمام أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد (ت 973هـ)

38- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر , ضبطه وصححه , الشيخ عبد الوارث محمد علي , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط2 , 2007م .

إبن شهر أشوب : رشيد الدين أبو جعفر بن علي السروي (ت 588هـ)

39- مناقب آل أبي طالب , المطبعة العلمية , قم (لا.ت) .

الشيرازي : صدر الدين محمد بن ابراهيم (ت 1050هـ) .

40- تفسير القرآن الكريم , حققه وضبطه وعلق عليه : الشيخ جعفر شمس الدين ,دار التعارف للمطبوعات ,بيروت , 1998 م.

41- الشواهد الربوبية , تصحيح وتعليق : الاشتياني السبزواري , انتشارات دانشكاه ,طهران , 1369هـ .

42- المظاهر الإلهية , تح : جلال الدين الاشتياني , مكتبة النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي , قم , ط2 , 1419هـ .

الصدوق : محمد بن بابويه , القمي (ت 381هـ)

43 – الامالي , مؤسسة البعثة , قم ,1417 .

44- التوحيد , مكتبة الصدوق , طهران ,1387ق .

45- الخصال , تح : علي اكبر الغفاري , مكتبة الصدوق – طهران , 1403هـ .

46- كمال الدين وتمام النعمة , تح : علي اكبر غفاري , مكتبة الصدوق , طهران, 1390 ق .

47- معاني الأخبار , نشر جماعة المدرسين , قم , 1361هـ ش

48- من لا يحضره الفقيه , تح : علي اكبر غفاري , مكتبة الصدوق , طهران و1392ق.

الصفار : محمد بن الحسن (ت 290هـ)

49- بصائر الدرجات , تصحيح وتعليق وتقديم : الحاج ميرزا حسن كوجه باغي , 1404 هـ .

الطباطبائي : العلامة محمد حسين (ت 1403هـ)

50- الميزان في تفسير القرآن , مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , الطبعة الأولى المحققة , بيروت - لبنان,1417هـ- 1997 م .

الطبري : محمد بن جرير بن رستم (ت 310هـ)

51- دلائل الامامة , تحقيق ونشر : مؤسسة البعثة , قم , 1314ق .

العجلوني: اسماعيل بن محمد (ت 1162هـ)

52- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس , دار احياء التراث العربي , بيروت – لبنان , 1351هـ .

إبن عربي , محي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت 638هـ)

53- عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب , القاهرة و 1951 .

54- الفتوحات المكية , ضبطه وصححه ووضع فهارسه : محمد عبد الكريم النميري دار الكتب العلمية ,بيروت , ط1 , 1421هـ .

55- فصوص الحكم , تح : أبو العلا عفيفي , انتشارات الزهراء , ايران , ط1 , 1991 .

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ)

56- الرسائل , رسالة الاجوبة الغزالية في المسائل الأخروية , دار الكتب العلمية ,بيروت – لبنان ,1405ق.

فرغاني :عبد الله

57- مشارق الدراري (شرح تائية إبن الفارض) مقدمة وتعليق الاستاذ جلال الدين الاشتياني , مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي, 1379 ش.ق.

الفيض الكاشاني , المولى محسن بن مرتضى (ت 1091هـ)

58- علم اليقين في أصول الدين , تحقيق وتعليق : محسن بيدافر , دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع , لبنان - بيروت , ط2 , 1429هـ -2008 م .

القاشاني أو الكاشاني , كمال الدين عبد الرزاق

59- شرح فصوص الحكم , مطبعة أمير قم , ط4 , 1370 هـ . ش .

القيصري : داود بن محمود بن محمد

60- شرح فصوص الحكم , تح : حسن حسن زادة آملي , مؤسسة بوستان كتاب قم , طبعة مكتب الاعلام الإسلامي , ط1 , 1424ق , 1382ش .

الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت 328هـ)

61- أصول الكافي ويليه الروضة , منشورات : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , بيروت , لبنان , ط1 , 1426هـ - 2005م .

المتقي الهندي : علاء الدين علي بن حسام الدين (ت 975هـ)

62- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال , تح : بكري حياني , مؤسسة الرسالة , بيروت و 1409هـ - 1989م.

المجلسي , محمد باقر ت 1111هـ)

63- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار , دار التعارف , ط1 , 1422هـ .

محمد , يحيى

64-حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي العرفاني، مؤسسة الإنتشار العربي , بيروت - لبنان (لا.ت) .

مسلم: ابو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ).

65- صحيح مسلم (الجامع الصحيح) ، دار الفكر، بيروت، (لات)

نور الدين : السيد عباس

66- مقدمات العرفان تحرير مقدمات فصوص الحكم للقيصري ,تحرير وتقديم : السيد عباس نور الدين , مركز إباء للدراسات , نشر بيت الكاتب , ط1 , 2005 م .

نيكلسون : رينولد

67- آراء المستشرقين حول الإسلام , ترجمه وعلق عليه : نور الدين شريبة , الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة , ط2 ,1422هـ -2002م .

Abstract

The subject of the (the Mohammadian Reality) is of the subjects with which the Gnostics had dealt in their books and explanations, it is one of the highest occasions with perfect evidence which is the prophet Mohammed bin Abdullah (Prayer and Peace be upon him.(

The Mohammadian reality is the existence origin and reason, his Almighty God had created all these creature for this reality, the Ahmadian illumination had been represented by the character of Adam then by each following prophet till Mohammed (P.U.H)then by Imam Ali and his sons (P.U.H.(

The theory of the Mohammadian reality had a great role, in the Islamic Gnosticism especially in the sixth and seventh centuries of Hegira and the following eras, by the Gnostics especially the interpreters who believed that the Prophet Mohammed had a physical and spiritual essences where the physical one is represented by the pure body of the Prophet Mohammed and the second had been created by the illumination of His Almighty God before any other creature as the holy hadiths indicate.

The Mohammadian reality is the perfect image of the perfect Man who possess all existence realities. The Gnostics believed that all Prophets inherit the internal knowledge about the Mohammadian reality as the source of inspiration and revealing whose possessor is so near to God, all the prophets had mission and preached for him.

This research studies the Gnostic characters, that deals with this subject in the Gnostic books and explanation since the sixth century of Hegira, such as Ibn Arabi, Haider al- Amily, Mula Sder Al-Muta`lheen, Al- Faidh Al- Kashani, Al-Janabdhi, Al- Tabataba`I, Al-Khomaini and Al-Sabzawari.

The research depends, in the methodical documentation, on the explanation books especially that of the mentioned Gnostics as well as the hadith and linguistic books and other.